

تحرم الرشوة بالطبع فتقول ما حرم أخذه حرم إعطاؤه ولكن العاملين بما قلبوا الآية فحللوا الأخذ والعطاء. التصرف على الرعية - كما ورد في القانون - منوط بالصلحة فيلزم أن يولى المناصب أهلها ولا يكلف الناس ما لا يحتمل ويدفع الظالم عن المظلوم ويؤمن السبل ويدفع الأذى ولكننا نحن نقلد الوظائف لمن لا يصلح لها فنضع الشيء بغير موضعه ونساعد الظالم على المظلوم وإن كنا ندرى بأن ذلك مبدأ الحلل. وخلاصة القول أن شريعتنا من أحسن الشرائع وأقومها ولر نعمل بموجبها ولكن فساداً طرأ على أفكار العاملين بها فغيروا المعاني وضحفوا الألفاظ وحرفوها طبقاً لمآزيمهم ومقاصدهم. الكلية بيروت:

حبيب جرجي كحالة

النحام ومرادفاته

## 1 تهيد

أصعب ما في اللغة العربية تحقيق الألفاظ العلمية ولا سيما ما يتعلق منها بعلم المواليذ فترى أغلب المعاجم تحبب هذا البحث ولا خبط عشواء. ولهذا يحسن بالعلماء أن يحققوا تلك الألفاظ ويتبعوها تبعاً علمياً محضاً حتى يصرح اللبني عن الرغبة ويعول عليها الكتاب من مؤلفين ومعربين ولا يقوا ساترين في الوعث فيكابدون من العناء والاجهد الأمرين. ومن جملة الألفاظ التي تحتاج إلى تحقيق كلمة نحام من الطير وما نحن نثبت ما يزيل الشك في هذا الباب فنقول.

## 2 النحام في كتب العربية

قال في حياة الحيوان: النحام طائر على حلقة الإوز الواحدة نحامة. يكون آحاداً وأزواجاً في الطيران وإذا أرادت الميت اجتمعت رفوفاً، فذكوره تنام وإناته لا تنام وتعد لها مبيت فإذا نفرت من واحد ذهبت إلى الآخر. اهـ المقصود من إيراده -

وقال داود الإنطاكي: النحام: طير دون الإوز، قيل أنه شديد الحرارة ينفع البرودين وهو مجهول - وقال ابن البيطار: النحام هو من طيور الماء. ابن ماسويه: لحمه من أكرام لحوم الطير وأفضلها. . . وفي التاج: النحام، كغراب: طائر أحمر كالإوز أي على خلقته. قال الجوهري يقال له بالفارسية سرخ آوي وهكذا ضبطه الزهري وابن خالوية. وغلط الجوهري في فتحه وشدده وضبطه المهلي كضبطه الجوهري. اهـ - قلنا: الاسم الفارسي الحقيقي هو سرخ آب أو سرخاب ويلفظها بعضهم سرخ آوي على لغة قلب الباء واوا وهي لغة كثيرين من الفرس الأقدمين واخذئين ومن أسمائه بالفارسية أيضاً خرجال كما جاء في برهان قاطع - وعلى ذلك يكون النحام هو المسمى بالفرنسوية أو وبالإنكليزية وبلسان العلماء أو اللاتينية

### 3 سبب تسميته عند العرب

لم يتعرض اللغويون لسبب تسمية هذا الطائر بهذا الاسم. وعندنا أنه مشتق من النحم أو النحيم وهو صوت كالزحير أو فووه، يخرج من هذا الطائر عند الطيران. وفعال بالضم من الصيغ الدالة على الفاعلية وإن لم ينبه عليها النجاة كشجاع وخشاش (وهو الماضي من الرجاء) وقد يراد على هذه الصيغة الياء للمبالغة ويقى المعنى على ما هو كقولهم:

القطامي وهو الصقر. قال الأصمعي: القطامي مأخوذ من القطم وهو الشهبان للحم غيره. وهذا الكلام يدل على أن اللغويين انبهوا إلى صيغة فعال أو فعالي للفاعلية.

### 4 تصحيف النحام ومرادفاته

صحف كثير من الكتاب هذه الكلمة لجهلهم إياها. ومن أشهر من صحفها أحمد فارس الشدياق الشهر فقد قال في كتابه شرح طبائع الحيوان ص ٢٨٢: النحاف (بفاء في الآخر) هذا طائر طويل ضخيم وفي غاية الحسن إلى آخر ما نقله عن الإفرنج.

وقد جاءت بهذه الصورة القبيحة في عدة مؤلفات نقل عنها دوزي في كتابه الملحق بالمعجم العربية في مادة نحف.

ومن أخطأ في أسماءه الأب بلو اليسوعي في معجمه الفرنسي العربي المطبوع سنة ١٩٠٠ قال في تعريف غواص، طائر طويل الأرجل لونه أحمر زاه، نحام اهـ. فالغواص غير النحام على ما أثبتته العرب والعلماء الأقدمون واتخذون.

ونحن العراقيين نسميه في ديارنا الغرنوق وهو كثير الوجود في البطائح والآجام والمستنقعات وفي القاموس: الغرنوق كزنبور وفردوس: طائر مائي أسود وقيل أبيض أو الغرنوق أو الغرنقي: الكركي أو طائر يشبهه. اهـ. ويجب أن تصلح عبارة القاموس هكذا: الغرنوق كزنبور وفردوس: طائر مائي ويريد به العراقيون النحام والكلمة العربية عن اليونانية بمعنى الكركي وقد وردت بهذا المعنى أيضاً عندهم والغرنوق في بلاد السودان هو نوع من الكركي اسمه العلمي وعند أهل المغرب هو نوع آخر من الكركي اسمه العلمي - ومن أسمائه في العربية الشرخاب قال السيد المرتضى في التاج في مادة سرخاب أو في مستدرکها: السرخاب بالضم، أهمله الجماعة وذكره أحمد بن عبد الله التيفاشي في كتاب الأحجار وقال: إنه طائر في حجم الإوز (أي أن كبر جسمه بكمير جسم الإوز وهو أمر لا اختلاف فيه لكن لا يراد بذلك أنه بطول الإوز كما يؤخذ من كلام الدكتور أمين أفندي المعلوم في المقتطف ٣٦: ٧٦٦) أحمير الريش ويوجد ببلاد الصين والفرس وأهل مصر يسمونه البشمور (واليوم يسمونه البشروش وهي تصحيف أختها) ويعلقون ريشه في المراكب للزينة. يوجد في عشه حجر بقدر البيضة غير اللون فيه نكت بيض رخو الخك في خواص لانزال المطر في غير أوانه. اهـ. نقله ولم يذكر المؤلف أن اللفظة الفارسية الأصل. وهي كذلك قد وردت في دواوين لغتهم. وهي كلمة مركبة من سرخ أي أحمير.

وآب أي ماء وأظن أن الصل في هذا الاسم ما معناه: الطائر الأحمر السابح في الماء ثم اختصروا العبارة فقالوا ما معناه: الأحمر الماء - والظاهر أن الإفرنج المستشرقين الذين نقلوا المعاجم الفارسية إلى لغتهم لم يهتدوا إلى حقيقة هذا الطائر. فقد قال فلرس في معجم الكبير الفارسي اللاتيني ما هذا نصه:

ومعناه ضرب من الطير المائي أحمر اللون. ولم يذكر اسمه باللاتينية ثم قال: ويسميه البعض خرجال أيضاً. ثم زاد على ما تقدم: أي بط بري. فأنت ترى من هذا أنه لم يُعرف ما يقابله عند العلماء. وكذلك لم يعرف حقيقة جنس في ديوانه الكبير الفارسي العربي الإنكليزي. وذكر هناك أنه نوع من البط المائي. والبط والإوز عند العرب بمعنى واحد في كتبهم اللغوية. فهذا القول يوافق وصف العرب للنحام أي أنه على حلقة الوز. ولم يذكر صاحب التاج البشمور في مظنتها وإن كان ذكرها استطراداً في مادة سرخب ولم أعتز عليها في معاجم اللغة العربية التي وصلت إليها يدي.

ومن أستاذة الفارسية أيضاً ميش مرغ أيضاً. لكن البعض يقولون أن المسمى بهذا الاسم هو الحباري. لا النحام. على حد ما اختلف العرب في تعريف الغرنوق. وأما لفظ البشاروش أو البشروش فقد وجدتها في كتب منون اللغة الفرنسية التركية منها. معجم و. ويرتال المطبوع في مطبعة قره بت في الأستانة في مادة إلا أنه ذكرها مصحفة بباء مثلثة فارسية في الأول بدلاً من الباء الموحدة أي بشاروش وهكذا ذكرها أيضاً ش. سامي في معجمه الفرنسي التركي. والأصح في كل ذلك البشاروش بباء مثلثة فارسية في الأول وشين أو سين في الآخر وهي من أصل فارسي بشرو أو بيش رو أي المقدم أو الإمام أو الماشي أمام الكل. وسبب هذه التسمية هو أن هذا الطير إذا سارت في طلب رزقها تولى أحدها قيادتها ليحذرها من الخطر إذا داهمها

وحالما يشعر هذا الوالي الأمين بمشقة تحصل وإن كانت بعيدة يبادر إلى الإجابة بصوت عال كصوت البوق فتهيأ كلها للطيران حالاً. (راجع شرائح طبائع الحيوان لأحمد فارس الشدياق ص ٢٨٣).

وقد صحف التونسيون كلمة بشاروش أو بشروش بصورة شبروش وقد نقلها دوزي في معجمه المذكور وقال أن بوسيه وتريسترام ذكراهما بمعنى النحام. قلنا: وكذا نقلها أيضاً غاسلين في معجمه الكبير الفرنسي العربي. فانظر حرمك الله كيف يجيء الاسم الواحد مصحفاً بموجب لغات البلاد والعباد. وكيف أن للحيوان الواحد أسماء عديدة بدون أن تذكرها المعاجم. وحاصل ما جاء من أسماء النحام الفصيحة والمصحفة هي: النحام والنحاف والغرنوق والسرخاب والبشمور والبرشوش والبشروش والشاروش والبشاروس ولعل له أسماء أخرى لم نقف عليها وأحسن الأسماء كلها هو النحام لأنها من أصل سامي إذ هو كذلك باللغة الآرامية مع الألف الزائدة في الآخر وهو من مزايا لغتهم أي (نحاما) وأما سائر الألفاظ فهي من أصل يوناني أو فارسي أو تركي ونحن في غنى عنها.

### ٥ النحام على ما وصفه علماء الإفرنج العصريون

قال علماء الإفرنج في تعريفه ووصفه: جنس من الطيور يدنو من السوايح بمنقاره ويشبه الشاهمرجات بساقه لطولها ولهذا عزل كلتا الطائفتين وجعل في طائفة خاصة به هي فرخ من طائفة الشاهمرجات أو الخوائض أي الطويالات الساق. وهو صغير الجسم طويل الساق حتى يبلغ طولها زهاء متر ورأسه صغير ومنقاره صلب في حافيته صفيحات على عرضها على حد ما يرى ذلك في البط وهو موج عند منتصفه وإذا أراد أن يصطاد فريسته كالهلامات والدود والهوام والحشرات وبيض السمك التي يراها على أرياف الغدران والمستنقعات يلقب رأسه بأن يضع الفك الأعلى أسفل

حتى يتمكن أن يتصرف في عقافته - وهو يطير جماعات تعرف بالرفوف (جمع رف) لكثرة أفرادها ويقوم من هبتها مثلث على حد ما تفعله الكركي. وإذا حطت على الأرض اصطفت صفيح كالعكر وعشها عبارة عن مدورة تركبها ركوباً عند الحضانة كما يركب الإنسان الحصان ولها صوت كصوت النغير وهو النجم ولحمها لذيد ولاسيما لسانها. واليوم يرغب في هذا الطير لريشها وهي أصناف منها البشروش أو نحام الأقدمين وبالفرنسية وبلسان العلم وريشه كله وردي بديع اللون ما خلا الجناحين فغنيهما أحمران ملتھان ومثل لونها لون المنقار وهو كثير الوجود في العراق وفي ديار فرنسا الواقعة على سواحل بحر الروم. - والنحام الأحمر أو البهمن وبلسان العلم وهو كثير الوجود في أصقاع أميركا الجنوبية وهي اصغر قداً من النحام السابق ذكره وألوانه أزهي وأهلي. والنحام ذو الرداء الناري وبلسان العلم ولونه أحمر واضح وهو يوجد في أنحاء باتاغونية وبرونيس آيريس. - والنحام القزم وباللاتينية ويكون في ربوع الرجاء الصالح وفي سنغال وهو دون ما جانسه من هذا الطائر بنصف.

وهذه الطيور تعيش غالباً في القصباء والحلفاء والآجام والعياض وهي تبحث عن رزقها فيها كما يفعل البط والوز تغط مناقيرها فيها لتقع على قوتها. وأكثر ما ترى أنها تجتمع جماعات من ٢٠ إلى ٣٠ طائراً. وسيرها ثقيل ومرتبك وإذا نامت قامت على رجل واحدة وضمت الأخرى إلى الأولى أو تحت بطنها وتخفي رأسها تحت جناحها وإذا كانت كثيرة الحذر يقوم أحدها ديدباناً إذ نام سائر الأخوة والأخوات وإذا ذهبت تسترزق. وهي تخاف الإنسان أكثر ما تخاف الحيوان. ولهذا إذا أراد الصيادون قنصها اختفوا في جلد حصان أو بقرة وذهبوا إليها. وإذا أطلقوا عليها البندقية نالوا منها عدداً وافراً والسبب لأنها تروع من طلقاتها ولا من رؤية ما يموت

منها ولهذا لا تبعد كثيراً عن صقظها فيصاب منها كثير. هذا جل ما يقال عن النحام، وفي الختام أقرأك السلام.

بغداد

ساتسنا.

### كتاب مخطوط

عثرنا في هذه الأيام على كتاب مخطوط ذهب منه الجزآن الأول والثالث وبدل على ذلك ما جاء في خاتمة هذا الجزء.

تم الجزء الثاني يتلوه إن شاء الله تعالى أول الجزء الثالث المقصد الثاني في ممالك جزيرة الغرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية.

وتاريخ كتابته ١١٩٣ هـ كنه عطوة بن علي الهونيني موطناً العباسي الأول.

صحائف الكتاب ٤٥٦ طوله ٣٣ سانتيماً وعرضه عشرون سانتيماً ورقه نباتي وخطه واضح جلي أسطر كل صحيفة ثمانية وعشرون سطراً.

أما المؤلف الكاتب فلم نجد له ذكراً فيه ويظهر أنه شافعي المذهب ومن رجال أوائل القرن التاسع الهجري ودليلنا على ذلك أنه في ذكره للملك الطبة الرابعة من ملوك مصر وهم الترك ذكر آخرهم الملك المنصور عبد العزيز وحصره في قلعة دمشق والقبض عليه واستجداد المستعين بالله بالأمر من غير سلطان وذلك في ثاني عشر ربيع الأول سنة خمس عشرة وثمان مائة.

موضوع الكتاب :

أول الكتاب الفصل الثاني من الباب الثاني من المقالة الأولى في الكلام على نفس الخط وفيه سبعة أطراف وفيه هنا مباحث في فضيلة الخط وحقيقته وفي وضعه وفي عدد الحروف وفي تحسين الخط وقواعد تتعلق بالكتابة وفي مقدمات تتعلق في أوضاع الخط